جامعة الجيلالي بونعامة – خميس مليانة–

السداسي:الأول: السنة الأولى ماستر

المقياس: تطور النظام السياسي بالجزائر 1519–1830

الأستاذة: فهيمة عمريوي

المحاضرة الأولى: ظروف التحاق الجزائر بالباب العالي

عرف المغرب الإسلامي خلال القرن 16م عدة أحداث تمثلت فيما يلي:

- الاحتلال الاسباني لمعظم المدن السّاحليّة.
- ظهور الإخوة بربروسة بالمغرب.
- ظهور الدّولة العثمانيّة كقوّة إسلاميّة قادرة على الوقوف في وجه الاحتلال الإسباني.
- سقوط الأندلس.

عرف عالم البحر الأبيض المتوسّط خلال القرن 16 مواجهة عنيفة بين عالمين ينتميان إلى حضارتين مختلفتين: هما عالم قوي يوجد في الضفة الشّماليّة من البحر المتوسّط يحمل شعار الصليب وعالم ضعيف يوجد في الضفة الجنوبية للمتوسط يحمل شعار "الهلال". ومن خلال هذا الوضع ندرس ظروف التحاق الجزائر بالباب العالي:

بدأت الأوضاع تتدهور في المغرب الإسلامي (ما سمي فيما بعد بدول المغرب ثمّ بالمغرب العربي) بضعف ثمّ سقوط دولة الموحّدين (1130- 1269)، حيث ظهرت دويلات ثلاث وهي:

- الدّولة الزّيانيّة (1236- 1550) بتلمسان.
- الدّولة المرينيّة (أواسط القرن 13- 1420) بالمغرب الأقصى.
- الدّولة الحفصيّة (1229- 1574) بتونس.

هذه الدّويلات الثّلاث دخلت في صراع فيما بينها من أجل اقتسام المغرب، فأدّى هذا الصّراع إلى تدهورها في كلّ المجالات، السّياسي و العسكري، و كذا الاقتصادي، فجعلها عرضة للأطماع إسبانية و البرتغالية.

عرف مطلع القرن 15م تعرضت بعض دول المغرب إلى الاحتلال من قبل إسبانيا والبرتغال، فكانت مدينة تِطْوَان أوّل مدينة احتلت عام 1400، ثمّ تلتها مدن أخرى نذكر منها: سبتة (1415)، القصر الصغير (1465)، الدار البيضاء (1468- 1469)، ثمّ أسيلا وطنجة عام 1471.

وبقي الصراع بين إسبانيا و البرتغال حول اقتسام مناطق المغرب الإسلامي إلى أن تدخّل البابا الكسندر السادس (1492-1503)، ووضع حدا لهذا الصراع حيث عقد معاهدة TORDESIUAS عام 1494، بطلب من الملكة إيزابيلا (La Reine Isabelle) (1474- 1505) زوجة الملك فرديناند الخامس (1452- 1516)، هذه المعاهدة قسمت مناطق المغرب بين الدّولتين، فكل ما يقع شرقا صار حجر بَادَسْ لإسبانيا، وكل ما يقع غربه صار للبرتغال، بعد هذا الاتفاق احتلت إسبانيا معظم المدن الساحلية للمغرب العربي، وبذلك بدأت مرحلة جديدة من الصراع بين إسبانيا ودول المغرب (العربي)،.

في هذه الأثناء وبينما كان المغرب العربي يتلقّى الضربات الأولى من قبل البرتغال وإسبانيا خاصّة، ظهرت قوّة في آسيا (قلب الإمبراطوريّة الرّومانيّة الشّرقيّة تعرف بالدولة العثمانية غيرت مجرى الأحداث في المنطقة.

تعود بدايات ظهور الدولة العثمانية كقوة 29 ماي 1453 قام السلطان العثماني محمّد الثّاني المعروف بالفاتح (1451- 1481)، بحصار وأخذ القسطنطينيّة عاصمة الإمبراطوريّة البيزنطيّة الشرقية، وجعلها عاصمة الدولة العثمانيّة الناشئة، وغير اسمها لاستانبول أي الإسلام أو مدينة الاسلام.

سقوط غرناطة وملاحقة الأندلسيين:

كان لفتح القسطنطينية من قبل محمّد الفاتح أثر كبير على العالم المسيحي الذي بدأ يفكر في كيفية الانتقام وكان البابا والملكة إيزابيلا في طليعة ممّن نادوا بوجوب شنّ حملة صليبيّة على الإسلام المسلمين. بدأت الملكة إيزابيلا هذه الأخيرة بدأت في تنفيذ فكرة الانتقام من مورسكيّي غرناطة (Grenade) عام 1490، حيث وصل الملك فرديناند بجيش تعداده 50000 رجل إلى

غرناطة، وبعد حصار دام عامين سلم أبو عبد الله (1482- 1492) غرناطة في 2 جانفي 1492، وبذلك سقط آخر معقل للمسلمين بإسبانيا.

اتجه أبو عبد الله أوّلا إلى قشتالة، ثمّ رحل إلى وهران (1493)، ومن وهران إلى تلمسان أين توفي سنة 1494. واصل الاسبان مطاردة المسلمين بالرغم من أنّ معاهدة "الاستسلام" التي أمضاها أبو عبد الله مع الملك فرديناند الخامس نصّت على احترام المسلمين وحرية العقيدة والشعائر، خاصّة عندما تولى (Ximenès de Cisneras) منصب رئيس الوزراء لدى بلاط الملك فرديناند. إذ قام بإلغاء المعاهدة المذكورة لأنه رأى فيها "منافية للديانة المسيحية"، ومن الضروري تنصير مسلمي غرناطة ولو بالقوة.

تنفيذا لذلك تم عام 1499 تنصير 4000 مسلم من غرناطة وبالقوة أو ما يعرف بحرب الاسترداد. وهو ما جعل مسلمي الأندلس، إمّا اعتناق المسيحيّة، أو الهجرة. إنّ مطاردة المسلمين بإسبانيا لم تكن كافية بالنّسبة للملك فردناند الخامس، وخاصّة زوجته الملكة إزابيلا الّتي تكنّ للإسلام والمسلمين حقدا وكراهيّة كبيرين، ففي الوصية التي تركتها أوصت بملاحقة المسلمين الّذين فرّوا و مواصلة احتلال مناطق المغرب.

التّوسّع الإسباني في بلاد المغرب:

شهدت مدن ساحلية كثرة توافد المهاجرين الأندلسيّين من هذه المد نذكر: الجزائر، تنس، شرشال، بجاية، جيجل، وهران، مستغانم. بمساعدة سكان وريّاس بحر هذه المدن، وكذلك بمساعدة رياس بحر آخرين أتوا من أقطار إسلاميّة أخرى تابعة للدّولة العثمانيّة، منهم: كمال ريّس، ويبرى ريس حيث اتخذوا من بعض المدن الساحلية في المغرب، منها المدن "الجزائريّة" قواعد. مثلما ورد في "كتاب البحريّة" ومن هذه المدن مدينة الجزائر وبجاية، جيجل وشرشال. تمثلت المدن التي احتلها الإسبان في:

1. احتلال المرسى الكبير:

يعتبر المرسى الكبير أوّل ما احتله الإسبان وكان ذلك في **11** سبتمبر **1505**، وكان قائد الحملة "دون دييقو فرناند دي كوردوفا" (Don Diego Fernandes de Cordova). حاولت الحامية التي

كانت تحرس برج المرسى الكبير، صدّ الهجوم الإسباني، إلاّ أنها لم تتمكّن نظرا لعدم تكافؤ وسائل الدّفاع بين الطّرفين. وبذلك اعتبر أول الكبير أوّل قاعدة عسكرية للإسبان لانطلاق حملات أخرى.

2. احتلال وهران:

تم احتلال وهران في 16 ماي 1509 أي بأربع سنوات بعد احتلال المرسى الكبير، حيث اتجهت أرمادة أخرى إسبانيّة إلى وهران واحتلّتها، وكان هذه المرّة قائد الحملة رئيس الوزراء Ximénies de Cisneros بمساعدة Pedro de Navaro. ونتج عن هذا الاحتلال تدمير مدينة وهران وقتل أكثر من 4000 شخص وأسر أكثر من 8000 شخص تم بيعهم في أسواق العبيد باسبانيا. وأيضا استيلاء على غنيمة قدّرت بـ 24000000 دينار جزائري، سرقة أسلحة والمخطوطات الناذرة والاعتراف بملك إسبانيا وبحكم إسبانيا مدينة وهران دفع ضريبة سنوية لإسبانيا

3. احتلال بجاية وطرابلس:

نزلت القوات الإسبانية بالقرب من مكان كان عامر بالأندلسيين الذين فرّوا من إسبانيا.أمام عن عدد الجيش الإسباني و عتادهم لم يتمكن المدافعون عن حصن بجاية من الصمود كثيرا، ففروا من الحصن و اتجهوا نحو الجبال المجاورة للمدينة، فأخذ الحصن من قبل الإسبان في جانفي 1510: والجدير بالملاحظة إنّ كلّ حملة كان يليها تنصيب رجل دين في المدينة.

4 – استسلام الجزائر ومدن ساحلية أخرى: تنس، دلس، مستغانم، شرشال:

كان لاحتلال المرسى الكبير ووهران وبجاية، أثر كبير على نفوس بقيّة سكان المدن الساحلية، ومنهم سكّان مدينة الجزائر، فمدينة الجزائر خلال القرن 16 كانت تحكم من قبل قبيلة الثّعالبة وهي قبيلة أتت من سهول متيجة واستقرت فيها خلال القرن 15م، منها الولي سيدي عبد الرحمن الثّعالبي الذي كثيرا ما تنسب إليه مدينة الجزائر وكان على رأس هذه القبيلة الحاكمة للجزائر سليم التومي الذي قرر الاستسلام تجنّبا لما آلت إليه المدن الثلاث التي قاومت الاسبان.

وبناء عليه اتجه سليم التومي إلى بجاية في 31 جانفي 1510 وأعلن ولاءه لحاكم إسبانيا هناك بيدرو دو نافارو. أما عن الشّروط الّتي فرضت على سليم التّومي فتمثلت في:

1. دفع ضريبة سنوية كلّ شهر جوان
2. عقد سلام بين مدينة بجاية والاسبان
3. تعهد الجزائر بإطلاق سراح الأسرى المسيحيين الذين كانوا بالمدينة
4. عدم التعرض للسفن الاسبانية بسوء
5. بناء حصن فوق الجزر الصّغيرة الواقعة قرب مدينة الجزائر عرف بحص البنيون
6. فرض على سليم التومي التنقل و السفر إلى إسبانيا لإعلان تبعيّته إلى الملك الإسباني فرديناند الخامس، وانتقل سليم التومي ومعه حاكم تنس ابن عبد الله إلى إسبانيا، محملين هدايا ثمينة و 130 أسير مسيحي.

شرعت اسبانيا في بناء حصن على الجزر الصّغيرة القريبة من مدينة الجزائر، في موضع برج صغير "برج الفنار"، الواقع على بعد 300م من المدينة كان الأندلسيّون الّذين فرّوا من إسبانيا قد بنوه خلال القرن 15م. سمي هذا الحصن من قبل الإسبان Penon d'Alger وحسب الكتابات المعاصرة الفترة، كان قريبا جدا من المدينة كاتب جلبي "تحفة الكبار في أسفار البحار"، أي أنه بالنسبة مثل الشوكة في القلب مثلما عبر عنه كتاب "غزوات عروج و خير الدين".

بعد استسلام مدينة الجزائر خضعت مدن أخرى مدينة دلس ومستغانم في ماي 1511 حيث وقعت اتفاقية مع هذه الاخيرة تضمنت الشروط التالية:

1. إعلان تبعية جميع أهالي مستغانم لإسبانيا
2. دفع الرسوم والضرائب والإتاوات التي كانوا يدفعونها من قبل إلى ملك تلمسان إلى اسبانيا.
3. إطلاق سراح جميع الأسرى المسيحيين
4. يحق للقائد العام الاسباني بتلمسان احتلال قلاع وحصون المدينة إذا طلب منه صاحب الجلالة ذلك دون أي اعتراض من الأهالي.

6. تجند سكان المدينة بتسليم القائد الاسباني في وهران كل ما يحتاج إليه من مؤونة ومواد بناء وحيوانات وبأسعار محدودة

7. التزام أهالي المدينة بتمرين مدينتي وهران والمرسى الكبير ولا يسمحون بتعمير أو تفريغ أي سفينة بمرسى مستغانم إلا بإذن الملكين.

8 على سكان المدينة إعلام القائد العام بكل ما يهم جلالتهما الاطلاع عليه

9. لا يلتزم أهل المدينة على اعتناق الدين المسيحي.

وهكذا تم تطويق كل المدن الساحلية ودخولها تحت سيطرة الاسبان

المحاضرة الثانية: ظهور الإخوة بربروسة في البحر المتوسّط وارتباط الجزائر بالباب العالي:

ظهر الإخوة بربروسة في الحوض للغربي للبحر المتوسّط مع بداية القرن 16م، وهؤلاء الإخوة هم في الأصل أربعة: إلياس، إسحاق، عروج وخير الدّين، وأصلهم من جزيرة متيلان أبوهم يدعى يعقوب كان من الجند المتطوع لفتح هذه الجزيرة. عندما استقرّ بالمدينة صار فخّارا، أي احترف مهنة الفخار "فخارجي". أمّا بالنّسبة لأبنائه الثلاث الذين قدموا إلى غرب البحر المتوسط فهم عروج وخير الدّين و إسحاق، أمّا إلياس فيقال أنّه وقع في الأسر وقتل في جزيرة رودوس.

بدأت شهرة الإخوة بربوسة مع الرّيّس عروج، حيث حين فرّ من جزيرة رودس أين كان أسيرا، اتّصل بفرفور وهو أخّ السّلطان العثماني آنذاك سليم الأوّل (1512- 1520) الّذي أمدّه بالسّفن و كل ما يتعلّق بالجهاد في البحر. لكن سرعان ما توترت العلاقة بين الأخوين سليم الأول وفرفور، وأصبح سليم الأوّل يطارد أخاه وأتباعه ففرّ عروج إلى الإسكندرية أين منحه حاكمها " " الأمان، وسمح له بالإقامة بالمدينة.

اتّجه عروج من الإسكندرية إلى جربة أين التحق به خير الدين الّذي فرّ هو الآخر من ملاحقة سليم الأوّل له باعتباره احد أتباع عروج، ثم اتخذ الأخوان جزيرة جربة مقرا لهما ثمّ حلق الوادي و ذاع صيتهما في البحر المتوسّط، كما الحاكم لهما الحفصي بتونس بالإقامة شريطة أن يسلما له خمس الغنيمة التي سيحصلون عليها من نشاطهم البحري.

نشاط عرّوج وخير الدّين:

وصل صدى نشاط عروج و خير الدّين إلى سكان المدن المحتلة من قبل الإسبان، وأعطاهم نوع من الأمل للتّخلّص من الاحتلال. بالفعل في 1512 أرسل الحاكم الحفصي ببجاية وفدا إلى عروج، وطلب منه مساعدته على تحرير بجاية وحسب القس الإسباني (Haedo) أنّ الحاكم الحفصي ببجاية وعد عروج بمكافئته وتعيينه حاكما على بجاية في حالة تحريرها.

لبّى عرّوج طلب الحاكم الحفصي ببجاية وتوجّه نحو بجاية بـ 14 سفينة محمّلة بالذّخيرة، ومعه 1000 تركي و بعض الرياس من المغرب. عندما وصل عرّوج وخير الدّين إلى بجاية في بداية شهر أوت، انظمّ إليهما الحاكم الحفصي وجيشه، وكان تعداده 3000 رجل جاؤوا من بجاية وضواحيها.

تمكّن الأخوان عروج وخير الدين من إلحاق هزيمة بالإسبان، إذ ألقوا القبض على سفينة إسبانية وأغرقوا الأخرى، على إثر هذا الانتصار الأوّل حاصروا قلعة بجاية وبعد مرور ثمانية أيام من الحصار والمعارك، هدمت تقريبا كلّ القلعة، في هذه الأثناء اتّجه عروج ومعه بعض الرجال إلى المدينة لتفقدها، إلاّ أنّه أصيب في يده اليسرى، فرفع الحصار مؤقتا وعاد الأخوان إلى تونس، حيث حاول خير الدّين معالجة أخيه إلاّ أنّه لم يتمكن فبثرت يده اليسرى (احترام كبير لهذا البطل المجاهد الكبير).

جيجل قاعدة للإخوة بربروسة خير الدّين و عروج:

بعد فشل الإخوة بربروسة في طرد الإسبان من بجاية فكروا في ضرورة إيجاد قاعدة أخرى قريبة ينطلقون منها لتحرير بجاية، وقد لفت انتباههم قلعة جيجل التي كانت في يد الجنويين الّذين احتلوها في حوالي 1200 أي خلال القرن 13م. واستعملوها لأغراض تجارية. وفي سنة 1514 و أثناء تواجدهم في المنطقة طلب الأخوان عروج وخير الدّين من سكان جيجل مساعدتهم إن أرادوا على طرد الجنويين من مدينتهم، قبل السكان هذا العرض وعلى إثرها أصبحت جيجل قاعدة ومركزا لمحاولات الأخوة بربروس لإنقاذ بجاية. كما ازدادت قوات الاخوة بربروس بانظمام عدد من السكان المحليين إليهم.

بعد هذا التمركز أرسل عروج إلى السلطان العثماني سليم الأوّل سفينة محمّلة بهدايا بغية التّقرّب من السلطان العثماني. كما حول الاخوة بربروسة انطلاقا من جيجل تحرير بجاية عام 1514، إلاّ أنّ المحاولة باءت بالفشل.

استنجاد سليم التومي بعروج:

عندما كان عروج بجيجل، استغل سكان مدينة الجزائر وعلى رأسهم حاكمها سليم التومي، موت الملك فرديناند الخامس (23 جانفي 1516)، لنقض المعاهدة التي أبرموها معه عام 1510، وأرسلوا لى عروج المقيم بجيجل طالبين منه مساعدتهم على طرد الإسبان من مدينة الجزائر.

قبل عروج العرض واستقبل بحفاوة من قبل سليم التومي وسكان المدينة وفي اليوم الموالي بدأ في مهاجمة حصن البنيون، إلاّ أنّ محاولته التي دامت 20 يوما باءت بالفشل نظرا للمدفعية الضّعيفة.

بدأ يراود سكان مدينة الجزائر وعلى رأسهم سليم التومي في مصداقية قوة عروج، ومن هنا بدأت المشاكل بين عروج وسليم التزومي، انتهت بمقتل حاكم مدينة الجزائر سليم التومي، إلاّ أنّ المعارضة لم تنتهي بمقتل سليم التومي، إذ أنّ ابن هذا الأخير المسمى يحي Yahia طلب مساعدة الإسبان للانتقام من عروج، بعض المصادر تكذب ذلك، المهمّ أنّ سكان المدينة لم يقفوا إلى جانب ابن سليم التومي بل وقفوا إلى جانب عروج، فهذا الأخير و بعد أن سلمه سكان المدينة الحكم، صكّ عملة جديد وبدأ بتحصين المدينة حسب رسالة بعثها حاكم البنيون كانت تحصينات عروج من جهة باب عزون ومن جهة باب الوادي وخاصّة من واجهة البحر.

تمثل الاهتمام الأساسي لعروج في طرد الإسبان حيث هاجم الحصن في 12 أوت 1516، غير أن محاولته كانت فاشلة إلاّ أنّ الحصار على الحصن كان ناجحا، حيث منع عروج عملية التموين من الماء، بالماء الشروب والمئونة، وكان في الحصن 200 رجل في أوت 1516، ممّا اضطرهم إلى شرب ماء البحر وترحيل 150 شخص. و في هذه الأثناء كانت إسبانيا تفكر في كيفية طرد عروج من الجزائر حيث شنت على الجزائر حملة بقيادة دييقو دي فيرا (DIEGO DE VERA) في 30 سبتمبر 1516): تكونت من 2000 بحار و 1000 عسكري فشلت خلالها اسبانيا في القضاء على عروج.

خروج عروج نحو تلمسان:

حين وصل عروج إلى تنس في جوان 1517، وصلته رسالة من سكان تلمسان دعوا فيها عروج تخليصهم من أبي حمو الثالث (1517- 1527) حليف الإسبان ضدّ الحاكم أبي زيان. وعندما وصل عروج إلى تلمسان استقرّ بالمشور، ولم يجد أبا حمو الثالث الّذي فرّ إلى فاس، ثمّ عاد إلى وهران و طلب مساعدة الإسبان. استغل الإسبان الفرصة للقضاء على عروج، فسار أبو حمو الثالث بجيشه إلى مكان عروج كما أرسلت له اسبانيا مساعدة عسكرية بقيادة Don Maetin d'Argote. توقّف أبو حمو والجيش الإسباني المرافق له "بقلعة بني راشد" حيث كان معسكرا فيها إسحاق أخ عروج فبعد حصار للقلعة دام ستة أشهر قتل إسحاق في جانفي 1518.

تمّ اتّجه الجيشان نحو المشور بتلمسان وحاصروا عروج لمدة سبعة أشهر تقريبا، أين قتل عروج في جويلية 1518. وهكذا كانت نهاية عروج الذي قاوم الاسبان ببسالة.

الارتباط الرسمي للجزائر بالدولة العثمانية:

فقد خير الدين أخويه عروج و إسحاق وقسما كبيرا من جيشه وعتاده الحربي، وتأمر عليه العديد من الشخصيات المحلية منهم أبو حمو الثالث الذي بدأ يستعد للهجوم على الجزائر بمساعدة الاسبان، اضافة إلى الخطر الخارجي المتمثل في الإسبان فعندما تولى الحكم شارلكان سنة 1518 أرسل حملة إلى الجزائر و كان قائدها دون دييقو دي مونكاد (Don Diego Hugo de Monvade) أحد النبلاء وحكام إسبانيا، وكان شارلكان طامعا في مساعدة أبي حمو الثالث له، حيث وصل الأسطول إلى الجزائر في 17 أوت 1518، أراد الإسبان أوّلا المفاوضة مع خير الدين و ذكروه بمصير أخويه عروج وخير الدين وهاجمهم من كل جهة و كان النصر حليفا له وللجزائريين.

بعد هذا الانتصار قرّر خير الدّين العودة إلى إستانبول وخدمة السلطان العثماني سليم الأول إلاّ أنّ عقلاء المدينة ووجهائها و من ضمنهم ابن القاضي ألحو عليه بالبقاء في الجزائر.

أمام تمسّك سكان مدينة الجزائر ببقاء خير الدّين ورفضهم لمغادرته، عرض عليهم خير الدّين منهم الالتحاق بالباب العالي لكونه لا يملك وسائل الدّفاع عنهم، فما كان منهم إلاّ أن قبلوا وأرسلوا رسالة إلى السلطان العثماني يطلبون فيها منه مساعدتهم على محاربة إسبانيا ويعلنون

تبعيّتهم للباب العالي. تبين رسالة الارتباط والتي نشرها الأستاذ عبد الجليل التميمي أن هذا الانضمام لم يكن مفروضا على الجزائريين بل تم بمحض إرادتهم وباتفاق بين مختلف أعيان مدينة الجزائر وبجاية وسائر المدن الأخرى. وبالتالي نتكلم عن التحاق وليس إلحاق.

استقبل الوفد الجزائري بحفاوة من قبل السلطان العثماني، وقد استجاب إلى نداء الجزائريين، وعلى إثر ذلك أرسل إلى خير الدين مع الوفد: 6000 انكشاري 2000 منهم من المدربين و4000 من المتطوعين. إضافة إلى الذخيرة من أسلحة ومدافع غيرها. مع الخلعة أو قفطان التولية، والفرمان أي الأمر السلطاني بالتولية. بناء عليه تم تعيين خير الدين حاكما على ولاية الجزائر وبذلك أصبحت أول ولاية عثمانية في المغرب.

يعد التحاق الجزائر بالباب العالي من الأحداث الهامة التي غيرت تغيير موازين القوى في غرب البحر المتوسط فأصبحت سيدة هذا الأخير ولها اليد الطولى فيه كما جاء في كتاب تحفة الزائر، وحققت الجزائر انتصارات متتالية حتى أصبحت تلقب بالجزائر المحروسة بالعناية الإلاهية.

المحاضرة الثالثة: تطوّر النّظام السّياسي بالجزائر خلال الفترة العثمانيّة (1520– 1830م)

قبل التعرض لتطور النّظام السّياسي أو مراحل الخكم العثماني يجب التعرض إلى كل من الجيش البري (الجيش الانكشاري) والجيش البحري (طائفة الرياس) باعتبار أن العلاقة بين الطرفين ساهمتا إلى حد بعيد في تطور النظام السياسي.

كيفيّة التّجنيد و تكاليف العمليّة:

كان تجنيد الجيش الإنكشاري يتمّ بطلب من الدّاي، و يتولّى تلك المهمّة وكلاء الجزائر المقيمين ببعض مدن آسيا الصّغرى، أو جزر بحر إيجه، منها مدينة أزمير و كريت و جنقالة، أو عن طريق وفود مكلّفين بمهام من أفراد الجيش، و يترأس كلّ وفد ضابط.

ففي أزمير مثلا كانت الجزائر تمتلك خانًا يضمّ طابقين و به غرف و مسجد و مخازن لإقامة الجنود قبل نقلهم إلى الجزائر، و كان يشرف على إدارته وكيل يعيذنه الباشا في الجزائر يسمّى "الباش داي" أو الباش داي، و يعمل تحت أوامره عدد من الموظّفين يعرف كلّ منهم باسم داي،

و لم يكن يسمح لأي داي الجزائر بتنظيم عمليات التّجنيد دون الحصول على تسريح من الباب العالي و موافقته، و بعد أن يأخذ القبودان باشا موافقة السلطان العثماني، يرسل الأمر إلى حاكم مدينة أزمير بالسماح للجزائريّين بنصب خيمة التّجنيد، و كان الوكلاء يقومون بدعوة الشّباب من مختلف المقاطعات العثمانية للانضمام إليهم مقابل وضع اجتماعي يليق بهم، كما كانت العملية تتم عن طريق المناداة حيث يقف وكلاء التّجنيد أمام الجماعات و يذكرون لهم ما سيتقاضونه من أجرة بعد انخراطهم في الجيش، كما ساهم المجنّدون القدامى في عمليّة التّجنيد، فعند زيارة أهاليهم في تركيا يصطحبون معهم أثناء عودتهم إلى الجزائر شباب سكان مناطقهم.

ولقد اختلف عدد المجنّدين الوافدين سواء من حيث زمن تنظيمه أو الأعداد المطلوب تجنيدها، و ذلك حسب الظّروف السّياسيّة و العسكريّة و الماليّة للإيالة، ففي 20 جمادى الأولى مثلا من عام 1215هـ/ 1803م توجّه وفد مكوّن من 12 رجلا بأمر من الدّاي مصطفى باشا إلى جزيرة رودس، و بغد مرور سنة تقريبا عاد الوفد و معه 117 مجنّد جديد.

و كانت عمليّة التّجنيد تكلف خزينة الإيالة مبالغ ماليّة باهضة تصرف في تأجير الأرض الّتي تقام عليها خيمة التّجنيد، و النفقة على الجنود المقيمين في الخان، و دفع مرتبات الباش دائيات المشرفين على عمليّة التّجنيد و أجرة الإمام و التّرميمات الحاصلة بالخان، إضافة إلى الهدايا الموجّهة إلى الموظّفين السّامين في الدذولة العثمانيّة، و حكام الأقاليم الّذين عملوا على تسهيل عمليّة التّجنيد، ففي سنة 1233هـ/ 1817م تلقى خسرو باشا (أميرال في الأسطول العثماني) هديّة شملت معطفين و مسدس و ثلاث سجات من المرجان، و ثلاث سجات من العنبر و حرام و ساعة و جلد أسد و جلد نمر و عبد أسود.

التّركيبة الآتية (أصل المجنّدين):

وفد المجنّدون من كلّ المقاطعات التّابعة للدّولة العثمانيّة، سواء المتواجدة بأروبا أو آسيا، و يمكن تصنيفهم حسب المناطق الّتي وفدوا منها إلى صنفين:

أتراك الأناضول: إنّ أكبر عدد من المجنّدين يأتي من مدن الأناضول حيث كتب كلومب Colomb ما نصّه:

"De Toutes les Régions de l'empire c'est L'Anatolie qui Fournissait la Majeure partie de Recrutement Algérien"

و نذكر منها ديار بكر، و قارة حصار، و صامصون، و أنقرة، و قونيّة و قرمان، و استانبول و طوقان

أمّا بالنّسبة للصّنف الثّاني و يشتمل **الأتراك غير أناضوليّين**، فينحدرون من المقاطعات الواقعة بالقسم الأوربّي منها روملي و مورة ...و من مدن بحر إيجه نذكر قوس و كريت و قبرص و رودس.

وفي السّنوات الأخيرة من تاريخ الإيالة أصبحت تضمّ عناصر قادمة من طرابلس و جبل طارق و ليفورنة، و ذلك سبب الحصار الّذي فرض على الجزائر خاصّة بعد سنة 1827م، و بعد قضاء محمود الثّاني على الجيش الإنكشاري في الدّولة العثمانيّة في الحادثة المعروفة بالواقعة الخيرية سنة 1826م.

كيفيّة وصولهم إلى الجزائر:

بعد أن يتجمّع المجنّدون في موانئ إستانبول و أزمير و الإسكندرية و رودس، يتمّ تسجيلهم في قوائم تحمل الاسم و العمر، و البلد الأصلي، و يتمّ إيصالهم إلى الجزائر عن طريق رياس الجزائر في سفنهم الخاصّة، أو في سفن بلدان أجنبيّة مثل فرنسا، إنجلترا، و عند وصولهم إلى الجزائر يتولّى المقطعجي مهمّة ضبط اسم الجندي و اسم أبيه و موطنه الأصلي و الحرفة الّتي كان يمارسها، و رقم الأوجاق المنتسب إليه و الثّكنة الّتي يقيم فيها، و الأودباشي الّذي يعمل تحت إمرته إضافة إلى الزّيادات في راتبه، كما يبصم على الوجة الخلفي من ذراعه الأيسر رقم حجرته، ثمّ يوزّعون على الأوجاقات البالغ عددها 424 وجاقا، و يضمّ كل وجاق عددا غير محدود من الجنود، مثل الأوجاق رقم 156 يضمّ من 21 إلى 30 جندي، و الأوجاق 134 يضمّ من 11 إلى 20 جندي.

أماكن الإقامة:

أقام الجيش الإنكشاري غير المتزوّج في الثّكنات و القلاع و الحصون و الأبراج، و قد بلغ عددها ثمانية ثكنات، و هي كالآتي:

1. ثكنة المقرئيين أو دار الإنكشاريّة المقرئيين.
2. ثكنة باب عزّون أو دار الإنكشاريّة باب عزّون و تسمّى أيضا بالثّكنة الكبيرة و متاع البانجية.
3. ثكنة الحراطين و تنقسم إلى بنائين.
4. أ. ثكنة علي باشا الواقعة على اليمين.
5. ب. ثكنة صالح باشا الواقعة على اليسار.
6. أسكي يكيجري أي الثّكنة القديمة أو دار الإنكشاريّة القديمة المعروفة بالفوقانيّة.
7. يكي قشلا أي الثّكنة الجديدة و تسمّى بالسّفلانيّة أو التّحتانيّة.
8. ثكنة أوسطى موسى تعرف أيضا بثكنة باب الجزيرة لقربها من البحر.
9. ثكنة الدّروج و تعرف بثكنة أمتاع الدوامس.

كما أقام بعضهم في الحصون و الأبراج مثل برج الفنار و حسن القصبة.

الرّتب العسكريّة:

1. **اليولداش:** يعرف برقيق الطريق و هو المجند الجديد الّذي لا رتبة له و يسمّى يكي يولداش أي يلداش جديد.
2. **أسكي يلداش** (اليلداش القديم) و يتحصّل على هذه الرّتبة بعد مرور ثلاث سنوات من الخدمة.
3. **باش يلداش:** أو رئيس اليلداش و ذلك بعد مرور ثلاث سنوات من الخدمة في رتبة يلداس قديم.
4. **وكيل الحرج:** هو المقتصد.
5. **أودباش:** المسؤول عن الأوده في الأوجاق و تعادل رتبته رتبة ملازم أوّل.
6. **أشجي:** الطباخ.
7. **أشجي باشي:** رئيس الطّبّاخين.
8. **بيلوك باشي:** تعادل رتبته رتبة نقيب.

9. **الأيا باشي:** هو ضابط الدّيوان.

10. **الكاهية:** هو خليفة الآغا.

11. **الآغا:** هو القائد الأعلى للجيش البرّي و رتبته تعادل رتبة الجنرال الآن، و تدوم فترة تولّيه هذا المنصب شهرين فقط، لذلك يسمّى بأغا الهلالين أو القمرين.

12. **منزول آغا:** هو الآغا المتقاعد.

مهام الجيش الإنكشاري:

تتمثّل المهمّة الأساسيّة للجيش الإنكشاري في حماية الإيالة من أي عدون خارجي مع قمع التّمرّدات المحليّة في الدّاخل، وتدوم مدّة الخدمة العسكريّة حوالي 13 سنة يقضيها الجندي في ممارسة مهامّه على مستوى النوبات المحلات.

النّوبات: هي فرق الجيش الإنكشاري المكلّفة بحراسة القلاع و الحصون و الأبراج، و يسمّى الإنكشاري الّذي يتولّى هذه المهمّة بالنوبتاجي: و ينقسم الجيش في النّوبة إلى صفرات تضمّ كلّ صفرة مجموعة من الجنود يتراوح عددهم بين 11 و 16 جندي، و هي متواجدة في عدّة مناطق من الإيالة، منها: وهران، قسنطينة، عنابة، بجاية، دلس. وأهمّها هي نوبة القصبة، و النّوبة التي تحرص القصر، و تتكوّن من الأتراك فقط.

المحلّة: هي فرق من الجيش الإنكشاري تتوجّه إلى البايليك لجباية الضّرائب الّتي تتم في شهر أفريل من كلّ سنة أو لقمع التّمرّدات المحليّة، و الجند في المحلّة ينقسمون إلى خيم، و تتألّف كلّ خيمة من مجموعة من الصفرات، وتضمّ كلّ صفرة عددا من الجند يتراوح من 11 إلى 16 جندي.

إيجابيّات الجيش الإنكشاري:

تتمثّل في:

صدّ الحملات الأجنبيّة: تعرّضت الجزائر منذ ارتباطها بالباب العالي 1519م إلى غاية 1830م إلى عدّة حملات أجنبيّة، انتصر في معظمها، كما أظهر بسالته و قدرته على القتال في الحملات

الأخرى أثناءها منها: حملة شارلكان 1541م.كما انتصر في معركة مزغران 1557م هذه المعركة الّتي خلدها الشّعر الشّعبي بقصيدة مطلعها:

يا فارس من تمّ جيت اليوم قصة مزغران معلومة

كما نجح في صدّ حملة الكونت أوريلي سنة 1775م، و حملتي الدّون أنطونيو يرثلو الأولى 1782م و الثّانية 1783م، ممّا جعل إسبانيا تجنح للسلم عام 1785م، كما أظهر مقاومة أثناء غارة دوكان الفرنسي سنة 1682م على شرشال و 1683م على الجزائر، وانتصر أيضًا في الاسترجاع الأوّل لوهران 1708م في عهد الدّاي محمّد بكداش، وبعد أن استرجعها الإسبان 1732م تمّ تحريرها نهائيا سنة 1792م. ساهم الجيش أيضا في قمع التّمرّدات الدّاخليّة: واشتغلوا عدّة مهام إداريّة منها النّظر على أوقاف الحرمين الشريفين و أوقاف مؤسّسة سبل الخيرات. كما مارسوا ما يقارب 28 حرفة. أسهموا أيضا في الأعمال الخيرية كالوقف.

المهام السلبيّة: تتمثّل في:

تورّط الجيش الإنكشاري في المؤتمرات على الحكام و الإطاحة بهم و اغتيالهم، فكان الجيش يولي من يشاء و يعزل من يشاء، و هو ما تسبب في الفوضى و عدم الاستقرار، و من الحكام الّذين كانت نهايتهم القتل نذكر الداي شعبان آغا (1688- 1695م)، والدّاي مصطفى باشا (1789- 1805م)، و من الحكام الّذين تمّ عزلهم من طرف الجيش، نذكر آخر الباشوات وهو الباشا إبراهيم (1656- 1659م)، حيث لم يكتف الجيش بسجنه بل قاموا بتغيير النّظام السّياسي من الباشوات إلى الآغوات، كما قام الجند بعزل الداي حسان باش شاوش، و سمح له الديوان بالدّيوان بالمغادرة، فتوجه إلى طرابلس، و منها إلى مصر، و أبرز دليل على تدخل الجيش في السلطة مع التّسبّب في الفوضى و عدم الاستقرار. و هو نظام الآغوات (1659- 1671م) الّذي دام قرابة 12 سنة كانت نهاية حكامه الأربعة القتل من قبل الجيش و هم على التوالي خليل آغا (1659- 1660م)، ورمضان آغا (1660- 1661م)، شعبان آغا (1661- 1665م)، و علي آغا (1665- 1671م).

ومن مهامهم السلبية حرمان العنصر المحلي من الانخراط في صفوف الجيش، إذ بقيت حكرا على العنصر التركي، و خير دليل على ذلك عمليات التّجنيد من المناطق الأناضوليّة، و غير الأناضوليّة السّابق ذكرها، و بذلك اتّسعت الهوّة بين الحاكم و المحكوم. وأيضا حرمان الأبناء (فئة الكراغلة) من الوصول إلى أعلى المناصب في الجيش، ممّا أدّى إلى وقوع صدمات بين الآباء و الأبناء تجسّدت في عدة ثورات قام بها الكراغلة ضدّ النّظام منها ثورة 1629، 1633.

دخلت الجيش البري في صراع مع رياس البحر تجسد بشكل خاص نهاية عهد الباشوات وعهد الأغوات ساهم هذا الصراع في تطور النظام السياسي غير أنه لم يظهر للعلن على اعتبار أن كل منهما لا يستطيع الاستغناء عن الأخر، فالانكشارية بحاجة إلى نشاط الرياس لضمان المؤونة والرواتب، والبحارة بحاجة إلى نشاط الجيش البري لضمان الأمن الداخلي.

المحاضرة الربعة

نتعرض فيها لنظام الحكم في الجزائر خلال العهد العثماني الذي مر أربعة مراحل متميزة و هي:

- مرحلة البايلربايات 1520- 1587م
- مرحلة الباشوات 1588- 1659م.
- مرحلة الأغوات 1659- 1671م.
- مرحلة الدّايات 1671- 1830م

وقد رعي في هذا التّقسيم على الخصوص علاقات حكّام الجزائر بالدّولة العثمانيّة أكثر من بروز تغيرات ذات معنى في علاقات الحكّام بالأهالي.

1. مرحلة البايلربايات:

تعتبر هذه المرحلة من أهم مراحل تاريخ الجزائر في العهد العثماني فخلالها تم استقرار الحكم العثماني بالجزائر بفضل جهود الأخوة بربروس خاصة خير الدين ومن تلاهما في الحكم في هذه المرحلة التي انتهت بحكم علج علي.

ووضعت الأسس الأولى لدولة الجزائر الحديثة بحدودها الثابتة وعملتها الخاصة وهي كلها دلالات أساسية لقيام أية دولة مستقلة.

طريقة اختيار البايلربات:

حمل الحاكم في هذه الفترة لقب البايلرباي أي أمير الأمراء، وكان خير الدّين أوّل من حمله، و هو بذلك أول حاكم يعين من قبل السلطان العثماني سليم الأول سنة 1519 كحاكم رسمي على ولاية الجزائر فأصبحت بهذا التعيين تابعة روحيا إلى الباب العالي. أما عن كيفية التعيين فقد تعاقب على السلطة في هذه المرحلة حوالي 20 حاكما منهم من تقلد الحكم أكثر من مرة. كان السلطان العثماني يختبار حكام الجزائر من الرجال الأكفاء المتميزين بالشجاعة والفطنة والذكاء وحسن التسيير والقدرة على تحقيق الأهداف الّتي فرضتها تحدّيات القرن 16م والتي سنتعرض لها في انجازات البايلربايات على المستويين الداخلي والخارجي. ومن البايلربات نذكر صالح رايس صالح رايس الذي كان على رأس سفينة تابعة للسلطان قبل تعيينه بايلرباي وأحيانا يختارون لشهرة أبائهم مثل حسن بن خير الدين. وكان السلاطين العثمانيين يستعنون ويستشرون تارة في تعيين البايلربايات الأشخاص الذين لهم دراية بأحوال البلاد ففي عهد السلطان حين أراد تعيين حسن بن خير الدين أرسل إلى علج علي وكان حينها قبطان للأسطول العثماني، يستشيره فيمن يراه مناسبا وقادرا وأهلا لحكم ولاية الجزائر في حالة رفض حسن بن خير الدين العودة إلى الحكم الجزائر.

أصول البايلربايات:

كانت أصول البايلربايات متعددة فنجد منهم العلج كحسن بن خير الدين وحسن فنزيانو و علج علي ونجد العنصر العربي كصالح رايس وابنه محمد بن صالح رايس ومن العنصر الكرغلي حسن بن خير الدين الذي تولى الولاية ثلاث مرات.

مميزات فترة البايلربايات:

تميزت مرحلة البايلربات العديد من الإنجازات على المستويين الداخلي والخارجي نوجزها فيما يلي

التقسيم الإداري:

قسمت الجزائر إلى مقاطعات إدارية وبدأت بوادر هذا التقسيم عروج وخير الدين وقد استكمل هذا التقسيم في عهد حسن بن خير الدين وكان هذا التقسيم كما يلي: دار السلطان هي مركز السلطة وتضم مدينة الجزائر وفحوصها وبعض الأوطان. والبياليك الثلاثة تتمثل في بايلك التيطري ومقره المدية تشكل سنة 1548، ويعد أصغر وأفقر وأقرب البايليك إلى السلطة. وبايلك الغرب تشكل سنة 1553 وله خصوصية نظرا للاحتلال الإسباني وتميز تغير العاصمة من مازونة إلى معسكر نهاية بوهران سنة 1792. أما بايلك الشرق فتأسس سنة 1567 وعاصمته قسنطينة يتميز بصعوبة مسالكه بشساعة مساحته وبعده عن مركز الحكم، إضافة إلى كثرة سكانه وتعدد مقاطعاته، ومما زاد من صعوبة هذا البايلك وكثرة الاضطرابات به هو قربه من إيالة تونس.

تحصين مركز السلطة (مدينة الجزائر)

بعدما قام خير الدين بربروسة بطرد الإسبان من البنيون البنيون (Penon d'Alger) سنة 1529م، أعطي أوامر بهدم الحصن الذي بناه الإسبان وبنى حصن أخر مكون من أربع طوابق وعززه مدافع لحماية المدينة من الغارات الأجنبية كما بنى ما يسمى بحوض خير الدين بميناء الجزائر لحماية السفن الراسية فيه من الرياح الشمالية الغربية. واستمرت عملية تحصين المدينة في عهد خلفائه مثل سنة 1556، 1573. كما تم تحصين المدينة بالأسوار والأبراج والقلاع والثكنات وحفر الخنادق، ونذكر على سبيل المثال القلعة التي شيدها خير الدين سنة 1553 والذي عرف بعدة أسماء منها برج مولاي حسن. ومن أهم أعمال خير الدين أيضا إنشاء ميناء الجزائر، وقام ببناء ترسانة لصناعة السفن، ولضمان حماية السّفن الرّاسية بالميناء كما وجه عدّة حملات بحريّة لنقل مسلمي الأندلس إلى الشّواطئ الجزائريّة، وهو ما عبّر عنه الأندلسيّون في الرّسالة الّتي أرسلوها للسّلطان سليمان القانوني 1541م.

توسيع السلطة المركزية:

استرجع خير الدين القل سنة 1521، وعنابة سنة 1522 ووصل نفوذ السلطة المركزية إلى الأقاليم الصحراوية ففي عهد صالح رايس ما بين 1552-1556 خضعت بعض المناطق

الصحراوية منها الأغواط وورقلة ووادي سوف وتقرت التي كانت بيد بني جلاب، وقام باسترجاع بجاية من الإسبان سنة 1555م وفي نفس السّنة تمّ القضاء نهائيّا على الحكم الزّياني بتلمسان. ومن مظاهر توسيع السلطة المركزية أيضا تصدى حسن بن خير الدين ثم حسن قوصو إلى ملك المغرب أحمد المهدي الذي توسع في كل من تلمسان ومستغانم ووصل حتى مشارف واد الشلف.

القضاء على التمردات الداخلية:

منها تمرّد ابن القاضي، كما تمكّن خير الدين من القضاء على تمرّد قارة حسن، وفي 1527م قضى على حركة تمرّد أهالي مدينة الجزائر والّتي قامت بتحريض من أتباع ابن القاضي، وتمكن حسن بن خير الدين عند توليه الحكم للمرة الثانية من القضاء على عبد العزيز صاحب قلعة بني عباس قرب بوعريريج في أواخر سنة 1560. وأيضا صد الحملات الأجنبية: أهمها الحملات الإسبانية الحملة الموجهة على شرشال سنة 1531م.

المنشأت العمرانية:

تم تشيد عدة منشأت عمرانية في هذه المرحلة منها دار الإمارة وتسمى كذلك بدار السلطان وفصر الجنينة، ومن المنشأت الدينية بناء بعض المساجد منها مسجد الشواش الذي بناه خير الدين والتابع للمذهب الحنفي إضافة إلى القلاع والثكنات وبناء مدن جديدة كمدينة القليعة على يد حسن بن خير الدين سنة 1553 وقد استقر في هذه المدينة العنصر الأندلسي الذي نقل الى المدينة والجزائر خبرته في مجال الزراعة والحرف. وبناء مدينة البليدة من طرف خير الدين.

مشاركة الجزائر في الحروب العثمانية.

وفي عام 1533م غادر الجزائر حيث استدعاه السّلطان العثماني سليمان القانوني لمنحه قيادة الأسطول العثماني، و عني بذلك (قابودان باشا)، فخلفه حسن آغا الّذي اشتهر عهده بصدّ حملة شارلكان 1541م، وبعد هذا الانتصار أصبحت الجزائر تلقب بالمحروسة.

تميّزت مرحلة البايلربايات بمساهمة الجزائر إلى جانب الدّولة العثمانيّة في حروبها، وتجسّد ذلك في مشاركة الجزائر في مواجهة الأوربيّين الأعداء للدّولة العثمانيّة، ومساندة الأصدقاء منهم نتيجة

للوفاق الفرنسي العثماني، وقف خير الدّين سنة 1542- 1543م إلى جانب الأسطول الفرنسي بقيادة فرنسوا الأوّل ضدّ الإسبان، وبذلك كفائة فرنسا بإعطائه حقّ الإقامة في مدينة نيس الفرنسيّة، و في الوقت ذاته واجهت الجزائر اختراقات فرنسا للمعاهدات الّتي أبرمتها فرنسا مع الدّولة العثمانيّة، فبعد كارثة ليبانت أصبحت الدّولة العثمانيّة في موقع ضعف لذا حاولت خرق المعاهدات المبرمة (منها معاهدة 1535م و هي معاهدة عقدت بين الدّولة العثمانيّة وفرنسا، بموجبها تحصّلت فرنسا على عدّة امتيازات في الدّولة العثمانيّة والولايات التّابعة لها منها الجزائر الّتي حصلت فيها تأسيس مراكز تجاريّة في القالة وعنّابة، وبذلك تحكمت في صيد المرجان.

كما شاركت الجزائر إلى جانب الدّولة العثمانيّة في معركة ليبانت 1571م، ضدّ الأسطول المسيحي المتحالف (إسبانيا و البندقيّة) بقيادة علج علي، ولقد فقدت الدّولة العثمانيّة الكثير من سفنها، ولحسن حظّها أنّ الجزائر برزت على السّاحة الدّوليّة، حيث قام أسطولها بملأ الفراغ الّذي تركه الأسطول العثماني و تمكن علج علي من تجديد الأسطول العثماني في ظرف قياسي دام سنة واحدة بعد كارثة ليبانت، كما ساهم علج علي في فتح تونس سنة 1574م، ومن مظاهر مساندة العثمانيين أيضا مشاركة الجزائر في حصار مالطا سنة 1565م.

السياسة الخارجية للبايلربايات:

لم تكن السياسة الخارجية المتبعة من قبل البايلربايات مستقلة عن الباب العالي حيث كانت تتعامل وفقا لمبدئ صديق الصديق صديق وعدو الصديق عدو وبذلك كانت فرنسا أول دولة تحصل على حق إقامة قنصلية لها في الجزائر على أساس أنها كانت صديقة للباب العالي الذي منحها عدة امتيازات في الأراضي العثمانية سنة 1535.

يمكّن القول أنّ عهد البايلربايات يمثّل بناء النّظام العثماني بالجزائر، هذه الأخيرة الّتي أصبحت قوّة في البحر المتوسّط وكانت الولايتان تونس وطرابلس الغرب تابعتين لها، ونظرا للمستجدات البارزة المتمثلة في ضعف الدّولة العثمانيّة، والحروب في أوربا خشيت الدّولة العثمانيّة من انفراد الجزائر بالسلطة في المغرب، وبالتالي الانفصال عنها، فلجأت لإجهاض هذه المخاوف

بتغيير نظام الحكم في الجزائر وتعويضه بحكم جديد أكثر مركزيّة من الأوّل وهو ما يعرف بنظام الباشوات.

المحاضرة الخامسة: مرحلة الباشوات والأغوات:

–مرحلة الباشوات (1587– 1659م)

في هذه المرحلة أصبح تعيين الحكام يتمّ من إسطنبول، و تمّ تحديد مدّة الحكم بثلاث سنوات يحمل خلالها الحاكم لقب الباشا، و كان الهدف من ذلك ضمان تبعيّة حكّام الجزائر، و عدم منحهم فرصة الاستقلال عن الدّولة العثمانيّة، و في الواقع أنّ هذا النّظام كان منذ البداية يحمل بذور فنائه. فتحديد مدّة الحكم بثلاث سنوات تسبب في عدم فهم الحكام لتعقيدات الحياة السياسيّة، أو التّعرّف على الإداريين، ممّا جعل الباشوات يسعون لجمع أكبر قدر من الأموال بشتّى الطّرق، منها فرض الضّرائب على الأهالي، ممّا تسبّب في قيام عدّة ثورات و تمرّدات محليّة، منها ثورات القبائل في عهد خضر باشا (1589- 1598م)، كما شهدت فترة الباشوات قيام ثورة الكراغلة بسبب سياسة الإقصاء الّتي انتهجها الآباء ضدّ الأبناء.

وفي هذه المرحلة قسّم المغرب إلى ثلاث إيالات: الجزائر، تونس، وطرابلس الغرب، وتمّ تعيين حاكم مستقل عن الآخر في كلّ ولاية، و هو ما تسبّب فيما بعد في قيام عدّة حروب مع تونس، وكان الباشا بمجرد قدومه إلى الجزائر يجد نفسه في مواجهة قوّتين هما الجيش الإنكشاري، و طائفة الرّياس، ومع مرور الزّمن فقدت الباشويّة صلاحيّتها وأصبحوا يتنازلون عنها للجيش الإنكشاري.

رغم هذه الظّروف المتمثلة في الفوضى وعدم الاستقرار نتيجة تدخّل كلّ من الأوجاق والريّاس في شؤون الحكم إلى البحرية الجزائريّة، واصلت نشاطها وجهادها وتصدّت للحملات المسيحيّة، كما وقفت إلى جانب الأسطول العثماني في معاركه البحريّة، منها مساهمة الجزائر عام 1639م إلى جانب الدّولة العثمانيّة في حربها مع البنادقة.

أمّا فيما يخصّ العلاقات الخارجيّة للجزائر مع الدّول الأوربيّة في هذه المرحلة، فقد تراوحت بين العداء وإبرام الاتفاقيات نذكر منها الاتّفاقيّة الّتي عقدت في عهد أحمد باشا (1653- 1655م) مع إنجلترا وكان ذلك بعد حملة إنجليزيّة على الجزائر.

كما استفادت فرنسا في عهد مصطفى باشا (1596- 1599م) من امتيازات قنصلية في الجزائر، غير أنّ وقوع تجاوزات من طرف فرنسا في عهد خضر باشا جعلت الجزائر تقوم بتهديم المركز التّجاري الفرنسي بالقالة، وعموما فإنّ العلاقات بين فرنسا والجزائر تميّزت بالتّوتّر طيلة فترة الباشوات رغم تدخّل الباب العالي لإصلاح الوضع.

استمرّ الباشوات في نهب أموال الخزينة، ففي عهد آخر الباشوات وهو الباشا إبراهيم، حيث استولى على التّعويضات الّتي أرسلها السّلطان العثماني للأسطول لتجديده، وعند استلامها من الباشا لم يسلّمها بكاملها للرياس، وبمجرد اكتشافهم لذلك قامت المؤسسة العسكرية بشقّيها بعزله، فاجتمع الآغوات، واستخلفوا الباشا بحاكم منهم، وبذلك دخلت الجزائر في مرحلة الآغوات.

-مرحلة الآغوات (1659- 1671م):

حين ضاقت المؤسّسة العسكريّة بشقّيها من فساد إدارة الباشوات و تراخيهم في النّهوض بشؤون الأوجاق، قامت بتجريدهم من الحكم سنة 1659م.

دامت فترة الآغوات 12 سنة تعاقب خلالها 4 آغوات على الحكم، وقد تميّزت هذه المرحلة بكونها أكثر المراحل من حيث الفوضى و عدم الاستقرار، و من مظاهرها اغتيال كلّ من تعاقب على الحكم في هذه الفترة، و كان أوّلهم خليل آغا الّذي تميّز عهده بالقطيعة بين الجزائر و الدّولة العثمانيّة، وفي سنة 1600م تمّ اغتياله و تعويضه بابن عمّه رمضان آغا الّذي بادر إلى إعادة العلاقات مع المركز حيث قام الباب العالي بإرسال الباشا إبراهيم عام 1661م، و بذلك عادت الجزائر من جديد إلى ما يعرف بازدواجيّة الحكم، غير أنّ الحكم الفعلي كان بيد الآغوات حيث نزعت كلّ الصّلاحيّات من الباشا، و اكتفوا بتخصيصه إقامة له بقصر الجنينة، كما عيّن له الدّيوان راتبا خاصا مع التّكفل بجميع نفقات و مؤن بيته، ولم ينجح رمضان آغا في فرض سيطرته حيث اغتيل هو الآخر في عام 1661م، ليتولّى السّلطة بعده الآغا شعبان الّذي استمرّ في الحكم إلى غاية 1665م، و تميّز عهده بانتصاره على جيوش لويس الرابع عشر، حيث صدّ الحملة الفرنسية على جيجل سنة 1664 بقيادة الدّوق دي بوفور (le duc de Beaufort)، وقد خلفه في الحكم الحاج

علي آغا الّذي حكم إلى غاية 1671م، وباغتياله أصبح منصب الآغويّة شاغرا وهو ما جعل الرّيّاس يستأثرون بالحكم، و بذلك دخلت الجزائر في آخر مرحلة من مراحل حكمها و هي فترة الدّايات.

المحاضرة السادسة مرحلة الدّايات (1671– 1830م):

الداي كلمة تركية تعني العم أو الخال وتتمثل سلطته باعتباره المسؤول الأول في تطبيق القوانين المدنية والعسكرية، والإشراف على حصون المدينة وتنظيم الجيوش ومراسلة القبائل المختلفة قصد التهدئة والمحافظة على الأمن، ومن واجبات الداي معرفة مشاعر سكان الإيالة وسلوك ولاته وكيفية تطبيق العدالة وتعيين الموظفيين الساميين. وهم الخزناجي، ووكيل الحرج، خوجة الخيل، أغا الصبايحية، وبيت المالجي.

بدأت فترة الدّايات باستئثار طائفة الرّيّاس بالحكم، حيث تولّى السّلطة القبطان الحاج محمّد التريكي، ونظرا لتقدمه في السن قام الدّيوان بتعيين بابا حسن ستاوش لتسيير الأمور، و قد دامت فترة حكمه 11 سنة (1671- 1682م)، وهي دلالة على الاستقرار الّذي ميّز بداية عهد الدّايات. وقد خلفه في الحكم بعد وفاته بابا حسن، وفي عهده تعرضت الجزائر لحملة دوكان الفرنسي.

تولّى الحكم بعده الحاج حسين ميزمورطو الّذي انتصر على جيوش لويس الرابع عشر، أمّا عهد خلفه شعبان آغا فقد تميّز بتحقيق انتصار على السلطان المغربي مولاي إسماعيل في واقعة وادي ملويّة 1692م، و تجدر الإشارة أنّ بداية فترة حكمه سنة 1688م شمل بداية تدخّل الجيش في السّلطة من جديد، حيث أصبح الدّايات يعيّنون إمّا من قادة الجيش أو الموظّفين السّاميين في الإيالة، كما تميّز عهد الدّايات بظهور مجموعة من الموظّفين الكبار، يمارسون تأثيرهم على الدّاي منهم الخزناجي، خوجة الخيل، آغا القرب ... و الّتي وصل تأثيرها إلى حدّ احتكار السلطة فيما بعد.

واجه الدّايات عدّة تحدّيات منها ازدواجيّة الحكم، فليؤكدوا تفوّقهم عملوا على إزاحة الباشا نهائيا، و كان ذلك عام 1710م في عهد الدّاي علي بشاوش (1710- 1718م)، و بذلك أصبح تحمل اللقبين (الباشا و الداي)، ويعدّ هذا الحادث نقطة فاصلة في تاريخ العلاقات بين الجزائر و

الباب العالي، و هو ما زاد من استقلاليّة الإيالة، ومن أبرز الأحداث في عهد الدّايات استرجاع وهران الأوّل سنة 1708م في عهد الدّاي محمّد بكداش، كما ظهر عدد من الحكّام استطاعوا البقاء في الحكم أكثر من ربع قرن من دايات و بايات منهم الدّاي محمّد عثمان باشا الّذي حكم في الفترة ما بين (1766- 1791م)، و في عهده تمّ صدّ ثلاث حملات إسبانيّة وهي حملة الكونت أوريلي عام 1775م، وحملتي الدّون أنطونيو برثلو الأولى عام 1782م، والثّانية عام 1783م، لتجنح إسبانيا بعد ذلك لصلح عام 1785م.

ومن البايات نذكر الباي محمد الكبير في بايلك الغرب وباي التّيطري مصطفى وزناجي، وصالح باي في قسنطينة الذي احدث عدة منشآت في بايلك الشرق وخلّده الشّعر الشّعبي بقصيدة طويلة مطلعها:

قالوا العرب قالو ما نعطو صالح و لا مالوا

بعد سنة 1792م إلى غاية 1830م شهدت الجزائر مرحلة من الضعف بسبب ظهور النّهضة الأوربيّة و تطوير كلّ أدوات الملاحة، و أصبح يتحكّم في البحر المتوسّط الأسطول الهولندي و البريطاني و الفرنسي، غير أنّ الأسطول الجزائري لم يطوّر الحربيّة التّقليديّة، و هو ما أدّى إلى نقص الغنائم، ممّا أثّر سلبا على الخزينة، وما رافقها من مشاكل أخرى، منها دفع رواتب الجنود الّتي كانت تنتهي بالثورة على الحكّام، و بذلك ازداد تدخّل الجيش في تعيين وعزل الحكام، و قد بادر الدّاي علي خوجة للحدّ من شوكة الجيش الإنكشاري عام 1717م، حيث قام بنقل مقر الحكم من قصر الجنينة إلى حصن القصبة، وهو ما جلب له نقمة الإنكشاريّة ففكّروا في الثّورة عليه، و بعد أن اكتشف مؤامرتهم قضى على 1200 جندي إنكشاري، و 150 بلكباشي، واستبدلهم بآخرين من الأناضول إضافة إلى المجنّدين من الكراغلة وفرق زواوة.

وتجدر الإشارة إلى أن تراجع غنائم البحر أدّت إلى كثرة و ازدياد الضّرائب المفروضة على الأهالي ممّا أدّى إلى كثرة الاغتيالات، حيث قتل ثمانية دايات و ستّة بايات، بالإضافة إلى غليان محلّي تجسّد في شكل ثورات شعبيّة ضدّ النّظام، و في الوقت ذاته ازدادت الأطماع الأوربيّة خاصّة الفرنسيّة و الإنجليزيّة على الجزائر، منها حملة اللورد إكسموث 1816م، و الحملة الإنجليزيّة 1724م، أخصها الحصار الفرنسي للجزائر عام 1828م و انتهى بالاحتلال عام 1830.

يمكن التوسع في هذها المقياس بالعودة إلى قائمة المصادر و المراجع التالية:

- خوجة حمدان بن عثمان، **المرأة**، تعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1975
- ناصر الدين سعيدوني، **تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، دار البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2014م.
- وليم شالر، **مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر (1816– 1824)**، تعريب وتعليق إسماعيل العربي، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982
- نور الدين عبد القادر، **صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي**، مطبعة البعث، قسنطينة، 1979.
- بليل رحمونة، **القناصل والقنصليات الأجنبية بالجزائر العثمانية من 1564 إلى 1830**، دار القدس العربي، وهران، 2017.
- عمار بن خروف، **العلاقات السياسية بين الجزائر وتونس خلال القرن 18م/12هـ**، ط1، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، المدينة الجديدة تيزي وزو،2017.
- مولاي بلحميسي، غارة شارلكان على مدينة الجزائر 1541 بين المصادر الإسلامية و المصادر الغربية، مجلة تاريخ و حضارة المغرب، عدد 6، 1969.
- عائشة غطاس، معاهدة الجزائر البندقية 7 محرم 1177هـ/ 18 يوليو 1763م، مجلة الدراسات التاريخية، عدد 7، 1993.
- عبد الجليل التميمي، أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر للسلطان سليم الأول 1519، المجلة التاريخية المغربية.
- عبد الجليل التميمي، رسالة من مسلمي غرناطة للسلطان سليمان القانوني 1541، المجلة التاريخية المغربية، عدد 3، 1975م.
- جون بول وولف، **الجزائر وأوروبا**، ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد الله، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986م.
- مجهول، **غزوات عروج وخير الدين**، تصحيح وتعليق نور الدين عبد القادر، الجزائر، المطبعة الثعالبية والمكتبة الأدبية، 1934م.

- وليم سبنسر، **الجزائر في عهد رياس البحر**، تعريب وتقديم: عبد القادر زبادية، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1980م
- الحاج أحمد الشريف الزهار ، **مذكرات نقيب أشراف الجزائر 1168 – 1754 هـ / 1246 – 1830 م**، تحقيق وتقديم أحمد توفيق المدني ، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، 1974
- الجزائري محمد بن ميمون، **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية**، تحقيق وتقديم محمد بن عبد الكريم، الجزائر، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، 1981م.
- عزيز سامح التر، **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية**، ترجمة د.محمود علي عامر، بيروت، دار النهضة العربية، 1989م
- نعيمة بوحمشوش، " **طائفة رياس البحر**"، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، الجزائر، 2007/1954، ص 95.
- أحمد توفيق المدني، **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1422–1792)**، الجزائر، دار البصائر، ط1، 2007.
- محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس 1512-1543.
- Henri Delmas Grammont**, Histoire d'Alger sous la domination turque 1515-1830,** Présentation de Lemnouar Merouche, Ed Bouchene, 2002
- Albert Devoulx, **Tachrifat recueil de notes historiques sur l'administration de l'ancienne Régence d'Alger**, Imprimerie du Gouvernement, Alger, 1852.
- Laugier de Tassy, **Histoire du Royaume d'Alger avec l'Etat présent de son gouvernement, de ses forces de Terre et de Mer , de ses revenus, police, Justice, politique et commerce**, Ed Loysel, Paris, 1992.
- Jean André Peyssonnel, **Voyage dans les Régences de Tunis et d'Alger**, présentation et notes de Lucette Valensi, Ed La Découverte, Paris, 1987
- Tal Shuval, **La ville d'Alger vers la fin du XVIII^{e} siècle population et cadre urbain**, Paris, CNRS, 1998.
- Boyer Pierre, **La vie quotidienne à Alger à la veille de l'intervention française,** Paris, Hachette, 1966.
- Diego de Haëdo, Histoire des rois d'Alger, traduction de H. D. Gramment présentation de Joceline, Dakhlia. Paris, Bouchène, 1998,
- Gaid Mouloud, **L'Algérie Sous les Turcs**, 2 Ed, Mimouni, 1991
- Eugène Plantet, Correspondances des Deys d'Alger avec la cour de France 1579-1833